المشرق

الصُلَيب

لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي البغدادي

(١ تمهيد) . انَّ نُدور هذا البحث وقلَّة المتكلّمين عنهُ وتزر كلامهم فيهِ حملني الى ان انتسم غارب القلم لأزلج قليلاً في ميدان هذا البحث وان لم اكن من فرسانهِ لعلّي بذلك أستنهض همم العارفين باحوال هذا الجيل من الناس فيندفعون الى ان يدوّنوها في بطون الاوراق قبل الاندراس . ويُنيروا عقولنا بها قبل ان تفاجئنا الأدلاس . او لعلّي استلفت بهذه الاسطر انظار الواقفين على هذا الموضوع في ما كتبهُ الافرنج فيدرجون لنا في المشرق احوال جيل معروف بالمشرق رمدهُ وما نصُّوا من الآراء فيهم واتصلوا اليهِ من معارفهم وما ذهبوا اليهِ في شأن اصلهم فتتضاعف الفوائد وتكثر العوائد ويطلع الانسان على حقيقة ما حولهُ من الموجودات لكي لا يُرى بجهالة امورٍ هي لهُ ضرب من الضروريات . فاقول وبالله استعين :

(٢ تعريفهم) . الصُلَيب بضمّ الاول وفتح الثاني واسكان الياء كقُفَيل (والصليب انفسهم يسكنون الصاد فيقولون الصْلَيب) جيل من الناس بين الحضَر واهل المدَر منتشرون في الشامية او برّ الشام ويتردّدون بين الموصل وبغداد والدير ونواحيها وينقسمون الى عشائر من ١٥ الى ٢٥ خيمة تنتقل من مكان الى مكان للاتجار بالحبر والملح وغير ذلك

(٣ اصلهم) . قد ذهب العلماء مذاهب شتّى في اصلهم . فمنهم من قالوا انهم من بقايا الصليبيين الذين تفرّقوا شذر مذر من بعد ان اقاموا في بلاد سورية مدّة فنكّل بهم تنكيلاً فاق ما اصاب سائر فرق النصارى لما رآهُ اعداؤهم في اسمهم ما يستقل عليهم

غضبهم واستشهدوا على ذلك باسمهم فان الفرق بين لفظي صَليبيّ وصُلَيْبيّ طفيف جدًّا يكاد لا يُذكر. ولذلك عندهم دليل آخر فان البدو لا يتعرّضون ابدًا لهؤلاء الاقوام ويعتبرون من يتعدّى عليهم انهُ ارتكب اعظم المنكرات وحقّ لهُ انكى العذابات فينظرون اليهم نظرهم الى شيء مقدّس موسوم بالصليب ولا يوقعون بهم أذى او أدنى مكروه وعليهِ فلا مخالطة بينهم وبين البدو. ولهم ايضًا دليل ثالث يُعزّز هذا القول وهو ان البعض منهم من يقول هذا القول اي انهم من الصليبيين لكن لمّا أخنى عليهم الدهر آل بهم الامر الى ما انتهوا اليهِ اليوم ولسان حالهم يقول:

يعاندني دهري كأني عدوّهُ وفي كلّ يوم بالكريهة يلقاني
وان رُمتُ خيرًا جاء دهري بضدّهِ وإن يَضفُ لي يومًا تكدّر في الثاني

وقالت جماعة يُستدلّ على اصلهم من اسمهم فالصُلَيبُ مشتقّ من الصُلب بمعنى الشديد يقال: صُلبٌ في دينهِ اي شديد فيهِ متمسك بهِ وهم عصابة من النصارى قذفتهم ايدي الدهر الى البراريّ فبقوا محافظين على دينهم يادئ بدء ثم تراخت بهم الاحوال فاصبحوا ما هم عليهِ اليوم. او اسمهم مشتقّ من صَلَبَ اي ضدّ لأنّ وهم من نصارى العرب في عيشهم شظف وخشونة لا تلين لها الطباع

وسمعتُ اناسًا يقولون ان اصلهم يرتقي الى الرومان او اليونان فان اسمهم مشتقّ من صُلَيب او صُلَيْف (Sulèves) وهي آلهة برّية كانت تقام تُلاثَ على رُخام قديم وهُنّ قاعدات وبأيديهنّ اثمار وسنابل. ولما كثر اختلاط عبدة هذه الالهة بالنصارى والاسلام تركوا اعتقادهم وتعلّقوا باعتقادٍ ليس هو باعتقاد النصارى ولا باعتقاد الاسلام فصارت حكايتهم اشبه بحكاية الغراب الذي قيل فيهِ:

إنّ الغراب وكان يمشي مشيةً فيما مضى من سالف الاجيالِ
حسد القطاةَ ورام يمشي مشيها فاصابهُ ضربٌ من العُقّالِ
فأضلّ مشيتهُ وأخطأ مشيها فلذاك سمّوهُ أبا المِرْقالِ

وقال آخرون إنّ اصلهم من صُليب او صُلَيب وهي قرية قريبة من دُنقلة من بلاد سَقْي النيل. فسمّوا باسم مدينتهم

امّا الصُلَيب انفسهم فلا يعرفون شيئًا من اصلهم او يعرفون شيئًا تخيّلوهُ في مُخيّلتهم او يخترعون من عقلهم اشياء. ويقولون بقدميّة اصلهم. ويخطر ببالي اني سألتُ قبل ١٥ سنة

واحدًا من الصليب الذين كانوا قد جاءوا بغداد في تلك السنة وكتبت كلامهُ بوقتهِ وكنتُ قلت لهُ: ما اصلكم؟ قال: اني لا اعرف من اين يأتي اكلي. فكيف اعرف من اين يأتي اصلي. وسألت آخر من المقدّمين فيهم ذلك السؤال فتنحنح ثم تمخّخ فتفكّر ثم تذكّر وقال: اسمع يا ابن الحلال. اننا نحن من خيرة الناس وصفوتهم. ومن عليّة العرب وزُبدتهم. كان جدّنا عربيًا صليبيًا (اي خالص النسب) اسمهُ ضَبعان. غير ان طوائح الزمان. طرّحت بهِ على ما يأتي من البيان. كان الله تعالى سبحانهُ عزّ وجلّ خلق جدّ جدّنا ضبعان. في أترهِ مكان. في بلادٍ قريبة من بلاد العرَب. ينبت فيها انواع العُرَب. ثم لمّا كثر الناس واختلفت الاجناس. صمّم جدّنا ضبعان على الرحيل من بلادٍ ضاق بها المكان. فاراد تعالى عندئذٍ ان يوزّع خيراته على خلقهِ ومبروءاتهِ. فكان لجدّنا القِدح المعلّى. والحال فرح فطلّى. فردّهُ الله على سائر الناس. غير انهُ ما عمّ ان ارتكب عملًا عُدَّ دنسًا من الادناس. وذلك ان القيُوم ربّ الكائنات. لمّا بلغ الى تعيين ارزاق الحيوانات. جعل نصيب الكلب قرصة خبز فرمى بها اليهِ. واذا بضبعان جدنا تلقّفها قبل ان تقع بين يديهِ. والحال اغتاظ الله على طمعهِ. وجشعهِ. واحرمهُ من رتبتهِ الاولى الشريفة. وانزلهُ الى درجة خسيفة. وكلّمهُ بكلام تدكدكت لهُ الجبال. وتضعضعت لها قوّات السماء مع ما فيها من آيات الكمال والجمال. وقال: ولّ عني مدبرًا ايها النذل اللئيم. الخالي من صفات الكريم. اني كنت عظمتك بين سائر الناس. لا بل سوّدتك عليهم على اختلاف الاجناس. وها انك تشاطر الكلب في رزقهِ. وتخاصمهُ في حقهِ. ولّ عني فانك منذ هذا اليوم. تكون ارذل القوم. وتحيط الى الأطناب (اي تمرّ بها لتكدي). وتنبحك الكلاب. وكريمات القبائل يعطينك. ولبنات الاحياء يطردنك. تأخذ بمخلاتك. وتكدي من خالاتك. ولا تزال تفعل ذلك. وانت على هذه احوالك. الى ان تكفّر عن طمعك. وتوفي الله عن جشعك. الى ان يشاء. فينشلك من هذا الشقاء.

وسألت آخر فقال تقريبًا قول السابق الّا انهُ ابدل لفظة الكلب بلفظة الغزال

وسألت رابعًا فقال ما يقرب معنًى من كلام السابقين واليكهُ: انّ ملك الشعوب وسلطانهم الأعظم لما رفع قبّة السماء. على عواميد من الهواء. واوقف الارض على ظهر الماء. شتّت الناس في انحاء شتّى من المعمورة. وعيّن لكل جماعة حصصًا من الارزاق عندهُ تعالى مذكورة. فكان نصيب الفلّاحين الفلاحة. ونصيب الملّاحين الملاحة. وحظّ المدّنين

التجارة . وقسمة البدو ركوب الخيل المُطَهَّمة السيَّارة . وتقلُّد السيف والرمح بسالة غريبة . واقتحام غمرات الموت بشجاعة عجيبة . وكانت حصَّة الافرنج التفنُّن والبراعة . والمهارة في الصناعة . امَّا جدّنا صليب وشرار جدّ الشرارات . وحازم جدّ الحوازم المعروف بالغارات . فهؤلاء ثلاثتهم كانوا تغرَّبوا فلمَّا اتوا الى اوطانهم . ادَّعوا باسمائهم . فغضب عليهم الملك الكريم . واستعذروا فكان عذرهم اقبح من ذنب عظيم . فقال صليب : اني كنت اطارد ظبياً . فقال لهُ الربُّ الجليل : سقياً لك ورعياً . فان كنت قد ولعت بصيد الغزال والكدية . فاذهب مع الصبية . الطُنب يطيّحك . والكلب ينبحك »

هذا ومن امعن النظر في ما تقدَّم يتحقق شيئاً وهو ان ما يزعمهُ العلماء لا ينطبق على ما يقولهُ الصليب وبين القولين بونٌ عظيم . غير أنَّهُ مما يمكن ان يؤكدهُ كل عاقل هو ان الصليب ليسوا من العرب ابداً . ولنا على ذلك ادلَّة قاطعة وبراهين نيّرة ساطعة . منها : ان ملامح وتقاطيع الصُلَيب غير ملامح وتقاطيع البدو . فان الصليب يمتازون غالباً بصغر الرأس وعلوّ الجبهة وسعتها وشهَل العينين او صفرتها وزجَج الحاجبين وبلجهما وشمَم الانف وبياض اللون وبيضية الوجه ورقَّة الشفتين وشقرة الشعر ونعومة الجلد ودقَّة الخصر ورشاقة القدّ ونصاعة بياض الاسنان وصحَّة الابدان الى غير ذلك مما لا ينطبق الَّا البعض القليل على مميّزات البدو او العرب . ومما اشتهر به الصليب خاصَّة نحافة الجسم بنوع فاحش حتى عُرفوا بها وضُرب بهم المثل . فيقال : « انحف من الصلَيبي » او « هو نحيف كالصليبي » او « كأنهُ صُلَيبي »

ومن تلك الادلَّة ايضاً لغتهم فهي ليست بالعربية الفصيحة ولا بعربية البادية بل هي لغة بين الاثنتين ولهم رطانة يتكلَّمون بها بينهم خاصَّةً . غير ان البعض منهم يتكلَّمون بعربية البلاد الموجودون فيها وربَّما تعلَّم البعض منهم ولا سيَّما المتقدّمون بينهم مقاطيع مسجعة كما مرَّ بك

ومن ذلك ايضاً عوائدهم فهي كما رأيت ليست بعوائد اهل البادية او نحوهم

ومنها ايضاً ان العرب والاعراب يعتبرون الصليب قبيلة غير عربية ومستقلة عنهم ويجلُّونها ويعظّمون قدرها ويعتبرون المعتدي عليها اعتبار جانٍ من اعظم الجناة

(٤) ديانتهم) . ليس للصليب ديانة خصوصيَّة . وقد سألناهم بهذا الموضوع فقالوا : أننا نعبد خالق الغزال والذي سخَّرهُ لنا غير اننا بسبب مخالطتنا للاسلام ولاهل البادية وجهلنا

لامور ديانة اجدادنا اخذنا عنهم ما دخل بيننا رغمًا عنّا فهم اذًا لا يعرفون لا الصوم ولا الصلاة ولا شعائر الديانة ولا . . ولا . . ولا . . غير ان الختان معروف عندهم

(٥ طعامهم ولباسهم) . ان طعامهم لحم الغزال وهو كثير في برّية الشام التي يسكنونها وهم من احذق خلق الله في التحيّل على صيده فلا يزالون يطاردونهُ حتى اذا أعيا ووقف كالمتفكر التائب عن رشده اطلقوا عليه النار وهجموا عليه . ويطاردون الغزال تارةً ركضًا وتارةً ركبًا على الحمار الابيض فاذا قربوا منهُ كلّموا حمارهم كما فيفهم الاشارة و يترك كالبعير ثم يطلقون النار من وراء الزاملة متخذينها بمنزلة القُنّرة فيصطادونهُ . — ومن طعامهم ايضًا الشعير والذُرة بانواعهما واللبن وشرابهم الماء القراح وإن لم يحصلوا عليه في مثل فصلَي الصيف والخريف شربوا اللبن او اللبن الحليب بدلًا منهُ . واذا دخلوا مدينة تزوّدوا لهم الطحين وانواع الادامة اليابسة لبقائها زمنًا طويلًا بدون فساد

ولباسهم كلُّه من جلد الغزال ايضًا ويتخذون لهم منهُ القفّاز والمساة (١ . ولباس الرجل لا يمتاز عن لباس المرأة الّا بشيء واحد وهو انَّ المرأة تتعصّب بعصابة حمراء بلون الحنّاء وتدلي طرفيها على القفا كانهما تتوّجا التاج . اما الرجل فيجعل هذه العصابة الحمراء ملفوفة على نفسها ليس لها طرف تائس متذبذب . وللرجل جدائل شعر كما للمرأة . والغالب في الرجل التّطط وهو خفّة شعر العارضين ولهذا قلّما يتميز الرجل عن المرأة من بعيد وبالاخص اذا كان الرجل شابًا لم يَقل بعد وجههُ . ولهم منطقة يتّخذونها من جلد الحمل او نحوهِ فيُدهن او يُدبغ بالقَرَظ او بالآء ويُجدل على ثلث قُوًى جدلًا عريضًا ويعلّق بها هنات من العظام يثقبونها لهذه الغاية وتُلبس النطقة بهذه الهيئة ويسمونها السَبَتَة (بفتح وسكون) . واظنُّ ان اللفظة عربية محضة كانها قطعة من السِبْت (بكسر وسكون) ومعناها كل جلد مدبوغ

(٦ اسلحتهم) . ان الاسلحة المعروفة عندهم هي المِقْيار والبعض يلفظ القاف جيمًا شجريًا او جيمًا حلقيًا فيقولون المِجيار او المِكْيار وهو عبارة عن عصا جُعل في رأسها كتلة مستديرة من القار تصلب اذا يبست فتكون كالحجارة . وتفنكة الشِشخان وهي نوع من البندقية او البارودة متوسطة بين القربينة والبارودة الاعتيادية وهي مستطيلة الانبوب بنوع

(١ المساة شيء كالجورب يتطّى بها اسفل الساق وظاهر القدم لكي لا تجرح الارجل بالشوك او بما اشبه

فاحش وداخلها ستّ طرانق او زوايا ومنها اسمها بالفارسية ومعنى شش ستّة وخان او خانة بيت او منزل او طريقة . وقد كان دخول هذه البندقيّة أيام السردار عمر باشا المشهور . والقُرْطة وهي كالمنيار الّا انها كلها من حديد ووجهها محفور او منقوش باشكال غريبة يُؤتى بها من الحساء والقطيف من بلاد العرب

(٧ عوائدهم واخلاقهم) . من عوائدهم انّهم يكرهون كلّ الكراهية السرقة والغشّ والخداع والمكر والمداجاة والمراءاة والغبن في البيع والتجارة . وليس من شيء معظّم عندهم مثل الدَّين . والكذب غير معروف عندهم . ومن طبعهم الكدية وهم مشهورون بها فانك لا تزال تراهم يتطفّلون على موائد الغير من اي ملّة او نحلة كانوا وبدون ان يُدعَوا الى الطعام وهم لا يستنكفون من نوع من الطعام ولا يحرّمون شيئاً منهُ واذا سمعوا باحضار طعام في محلّ تراكضوا اليهِ متسارعين كأنهم من اهل ذلك المحلّ

ومن اخلاقهم العفّة والطهارة فهم لا يعرفون الزنى ولا الفجور الّا ما ندر والنادر لا يُنتدّ بهِ . والمرأة عندهم على جانب عظيم من الحياء والخفر واذا شخصت المرأة مع زوجها الى المدينة تمسّكت باهداب ثوبه وتعلّقت بهِ وهي على هذه الصورة اينما سار وسرى كأنها الطفلة الصغيرة بجانب ابيها

(٨ سكناهم) . ان الصليب يسكنون في خيم يتّخذونها من جلد الغزال او من الشعر وهم يرتادون منازل الغيث في الربيع والشتاء وجوار المدن والقرى في الصيف والخريف وتبلغ خيامهم ما ينيف على الـ ٧٠٠ خيمة

(٩ صناعهم) . ليس لهم صناعة يتمازون بها سوى تربية الحمير البيض . فخيرهم من هذا القبيل مرغوبة لحسنها وقوّتها وتمكّنها من السير المتواصل بدون ان تتعب وشيكاً . ولهذا ترى كثيرين من التجّار يعتقدون صلاتٍ معهم لهذه الغاية . وربما بلغ قيمة الحمار المبتاع منهم بسعر ٣٠٠ فرنك او اكثر . ومن أعمالهم ايضاً تربية المواشي بانواعها والغنم عندهم في سنيّ الخصب تلد مرّتين في السنة

(١٠ حفلة الزواج عندهم) . اذا اراد الواحد ان يتأهّل خرج بشير من بيت الرجل وهو قابض على ذيل حمار ابيض يُوحِيهِ مارًّا ببيوت الربوع فيكون ذلك علامة للدعوة الى العرس . وهذا يشبه بشير العرب الذي كان يجيء مبشّراً فحيّ بخصب او حال تسرّهم

فاذا جاء حرّك ثوبهُ او سيفه واشار بهِ من البعد ليفرحوا ويستبشروا قال الهذلي:

آرقتُ لهُ مثل لمع البشيرِ يقلّب بالكفّ فرضاً قليلا

فترى حينئذٍ كل ما اتى البشير بيتاً خرجت نساؤهُ يُهَلِّلْنَ (١ فيشمّر اصحاب كل بيت في تهيئة طعام يبعثون بهِ الى بيت العروس (الرجل) فيحتشد المدعوُّون على طبقاتهم ويأكل كل فريق من طعام فريقهِ الآخر. واذا انتهوا من الوليمة انفضت الرجال والنساء كلٌّ على حدةٍ وبدأوا بالرقص والزفن. ورقصهم في منتهى البساطة فلا ترى ابدًا فيهِ حركاتٍ تخلّ بالآداب او أمارات تبعث النفس الى سوء الظن او الشكّ فهو عبارة عن وَثْب وطَفْر. وعندهم نوع من الرقص يسمّى بالدَّسْتَبَنْد يأخذ بهِ بعضهم يد بعض ويدورون. ومن عوائدهم في مثل تلك الايام عادة اسمها عندهم بالهَجَّة وهي عبارة عن ان المعرس يعطي حمارًا محضارًا محتاطًا بخَاهِنَةٍ (٢ ويمرّ بصدر البيوت فتُقبِّل النسوة لهميه عن الحمار فيتعهنَّ الخاهنة. ولا يزالون يفعلون هذا الفعل حتى اذا جاء بيتهُ اولم وليمةً يسمّونها وليمة الشباب. امّا اذا وُفقت النساء الى قلب المعرس عن ظهر حمارهِ رغمًا عن مقاومة الخاهنة لهنَّ فللنساء حقّ بالوليمة لهنَّ فقط ويعود الشبّان بخُفَّي حُنَين

امّا طريقة الزواج فتكون على هذه الصورة: يتقدم الخاطب ويمسك يد أبي المخطوبة واخيها او وصيّها او القيّم بامرها وياتي ثالث ويخاطب وكيل الابنة او اباها قائلًا: أتزوّج فلانة ابنة فلان فلانًا ابن فلان ؟ فيقول ابو الابنة: نعم اني ازوج فلانًا ابن فلان ابنتي هذه. فيصرفهم الثالث بعد ان اقام لدى العرسين مقام الشاهد العدل ثم يقول: سيرا بحفظ الرحمن والله شاهد عليكما وعلى اعمالكما وهو الحيّ القيوم

(١١ الطلاق) - لكل من الرجل والمرأة حقّ في ان يطلّق صاحبهُ اذا خان الواحد الآخر اي اذا ثبت عليهِ بانهُ احبّ شخصًا آخر. واذا ارادت المرأة الطلاق خرجت قائلة صارخة: اشهدوا عليّ باني طلّقت فلانًا زوجي لانهُ عشق او خطب غيري (إذ لا يمكن لاحد الزوجين ان يتزوّج الّا برضى الآخر). فاذا انتشر الخبر وتحقّق صدقهُ كلُّ الناس لا تعود المرأة ترجع الى بعلها ولو استرضاها بمال قارون او دولة هارون او سخّرها بسحر هاروت

---

١) يقال هلهل الرجل اذا رجّع صوتهُ والهلاهل هي ما يسمّيها اهل سورية بالزلاغيط

٢) جمع مجاهنٍ وهو صديق الرجل المعرس والبض من العامة تسمي المجاهنة بالغداوية والاشاينة والسرّادجة جمع سردوج

ومارورت . اما اذا كان الخبر كاذبًا جاءت المرأة الى زوجها بالرَجل (بالدست او القـدر) واستحلفتهُ عليهِ ثلاثًا ليثبت صدق الخبر فيقلب الرجل القدر ظهرًا ويحلف عليها ويقول ثلاثًا : وحياة القدر وما قُدّر فيها (١ اني لا عشقت ولا خطبت غيرك لا ظاهرًا ولا باطنًا لا سرًا ولا جهرًا . فاذا حلف هذا القسَم المغلَّظ رجعت اليهِ . واذا طلّق الرجل امرأته ووُجدت حاملًا بعد طلاقها امتنعت عن الزواج ثانيةً الى ان تُرزق فاذا رزقت انثى جاز لها عقد الزواج وان ذكرًا بقيت على ما هي عليهِ ثلث سنوات الى ان يفطم الطفل

(١٢ التطبيب) . لا يعرفون من الطبّ الّا المعالجة بالكي ومخّ عظام البعير . فالمخّ يُستعمل بمنزلة دهان او مَرْوخ . او مَرْهم لأنواع الامراض الخارجية او الأدْوَاء الباطنيَّـة ذات الاثر الخارجي كداء المفاصل والرَثْية والقُرس والحُضار ونحوها . وكل ما لا يُعالج بالمخّ يُداوى بالكي . وطريقة الكي عندهم ان تؤخذ قطعة صغيرة من ثوب ازرق صُبغ بالنيل (ولا يؤخذ من ثوب صبغ بصبغ غير النيل) . ثم تُلفّ هذه القطعة على نفسهـا لفّاتٍ متعدّدة حتى تغدو كالانبوبة دقيقة الرأس ثم يشعل هذا الرأس ويكوى المريض بالحرقة انحاء شتّى من جسمهِ معلومة عندهم بموجب نوعية المرض وموطنهِ

فللداء الفلاني مثلًا يكوى المريض من كتفهِ وذراعهِ وظهرهِ وللداء الآخر من ساقهِ وظاهر قدمهِ ومقدّم صدرهِ الى غير ذلك بموجب قواعد يعرفهـا الكاوي . وربّما كان هذا الكيّ في فسحةٍ معلومة من الجسم فيقوم هذا الكيّ مقام حرّاقة او لزقة او لبيخة او نحو ذلك من مصطلحات الطبّ الحديث . فيحدث اثر هذا الحرق حُوَيصلات مملوءة ماء فاذا نضجت وسال ما بها شفي المريض . وقد تُبدَلُ الحرقة النيلية بحـديدة حارّة فيتصرّف بها الكاوي تصرّفهُ بالحرقة الزرقاء وقد تُبدَلُ الحديدة بالصوفان ايضًا . ومن نظر الى شكل الحديدة او الحرقة او الصوفان علم بان آثار الكي تكون مختلفة الشكل والهيئة والقدر فمنها مستديرة ومنها مستطيلة ومنها مستعرضة الى غير ذلك

(١٣ دفن الموتى) . اذا مات الواحد عندهم اسرع اصحابهُ الى غسلهِ وتكفينهِ وايداعهِ الرَمْس وبعد ليلتين من موتهِ تُدعى الاقارب والجيران والاصدقاء الى ان يشتركوا معهم لتأدية الواجبات في مقاستهم الوخيمة التي تقـام على قبر الميت . ويشاطر هؤلاء المدعوين جميع الفقراء والمحتاجين وبعد ان يأكلوا ويشربوا يأخذون معهم ما بقي من

١) اي ما طبخ بها من الطعام

الطعام وينصرفون والسنتهم لاهجة بذكر محاسن الفقيد وفضائلو مستدرّين صيب رحمة الله عليه. واذا كان اصحاب البيت من الاغنياء او ممّن تمكّنهم حالهم من تضحية ضحيّة عمدوا الى اخذ جمل وجملوا عليه ثوباً وعباءة ونحو ذلك وكلّ ما يتعلّق بلباس الرجل حتى الاحذية واخذوا معهم طحيناً وسمناً وماء وغير ذلك ثم يكلّمون ميّتهم قائلين له: خذ ضحيّتك هذه لك ليوم في هذه الدنيا وليوم في الآخرة. ثم ينحرون الجزور ويأخذون معهم الاكل والامتعة التي كانت وُضعت على الجمل المضحّى وينصرفون حامدين شاكرين.

اصل كلمة زنديق

للاب سبنيان رنزفال اليسوعي.

كثُر ما قرأتُ عن اسم الزنادقة ووصف زندقتهم في تآليف الشرقيين ولا اذكر اني عثرت مرّةً على هذا الاسم دون ان اراجع كتاباً او قاموساً لاستخراج معناهُ الصحيح املاً بان اظفر بما يرتاح اليه لُبّي ويقنع به تماماً عقلي. فطاش سهمي مع ما واصلتُ من السعي وتحمّلتُ من الكلف والجهد

واوّل ما طالعتُ كتاب الفهرست لابن اسحق الورّاق لانّ هذا المؤلف الشهير احسن في وصف اخبار مانى الزنديق ونعت شيعته المرذولة فكتب في ذلك مقالةً مثمرة جليلة الفائدة عليها المعوّل في ترجمة هذا المبتدع. غير اني لم اعثر فيها على المطلوب

ثمّ سرّحتُ النظر في كتب المؤرّخين من العرب كالطبريّ واليعقوبي والمسعودي وغيرهم ممن حصلوا على الشهرة الطائرة في العلوم التاريخية والاسانيد الصحيحة فلم أنل منهم المرغوب. وكذلك لم اجد في تصانيف اللغويين ما به اشفي غليلي. فدونك بعض اقوالهم لترى ما اتى فيها من الاخبار المتباينة والآراء المتضاربة

قال صاحب تاج العروس: « (الزنديق بالكسر من الثنوية (١) كما في الصحاح (او) هو (القائل بالنور والظلمة) كما في العباب (او من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبيّة) وفي التهذيب: ووحدانية الخالق (او من يبطن الكفر ويظهر الايمان). قال شيخنا: والفرق بينهُ وبين المنافق مشكل جدًّا. كما في حواشي الملا عبد الحكيم على تفسير البيضاوي (او

(١) يعلم القراء انّ ما اتى في تاج العروس بين قوسين هو للجوهري صاحب الصحاح والباقي هو شرح لصاحب التاج